أعتـــذر إليك ..!

الأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هـذه الكلمة محزون النفس اشيء اجترمته ، كان أولى بى أن أصبر حتى لا أزل عليه . وذلك أنى قرأت كلمة فى بعض المجلات يقول فيها كاتبها : « فإذا منع الفقير حقه ، فله أن يقاتل عليه ، لأن الله يأمر بقتال الباغين « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » . ولا شك أن مانع الحق باغ » فاحتملتنى العجلة وسوء الظن ، أن أرى الكاتب قد استدل بالآية فى غير مكان الاستدلال بها . فساء قولى فى الرجل بين جماعات من النـاس ، إذ لم يقع لى إلا أن الآية فى اقتتال طائفتين من المؤمنين ثم بغى إحدى الطائفتين على الأخرى . ولما سكن بى الليل أمس (السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١) حاك فى قلبى شيء لم أدر ماهو ، وألح على أنى اكتسبت فى أيامى هذه إثما أخشى أن لا أفلت من عقابه . وارتفعت لعينى هـذه الآية بختامها « إن الله يحب المقسطين » ، فرأيت من العـدل والقسط أن أرجع إلى تفسيرها ، وإلى أقوال الأئمة فى قتال أهل البغى ، فعرفت مالم أكن أعرف ، أن بعضهم قد استدل بها فى مثل ما استدل عليه الكاتب الفاضل ، وإن كان الطريقة الاستدلال عندهم نهج غير نهجه ، وقيد فيما أطلقه . وإذا أنا قد ظلمته ظلما لا ينبغى . فلم أزل منـذ تلك الساعة أستغفر الله لما فرط منى وما جرى من لسانى من الكلام السيء ، واستغفرت له بما أسأت إليه بظهر الغيب

فلما قرأت الرسالة فى صباح ليلتى (الأحـد ١٢ جمادى الآخرة) ، كنت أوشك أن لا أحـمل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب الفاضل فى مقاله : « أجل..ذو العقل يشقى » . ولكنى وجـدت السبيل قد تيسر لى أن أعتذر من سيئة اكتسبتها فى الإساءة إلى رجل بظهر الغيب ، لنفس الداء الذى نهيت الأستاذ عنه ، وهو العجلة . وأنا لم أقصد نهيته إلا لما فيه خير له ولى إن شاء الله

وقد تبين لى بعد قراءة كلمته أنى أخطأت أيضا فى الذى كتبت به إليه ، فوقعت بما كتبت فى نفس ما نهيته عنه . وما كان أغناني عن هـذه الخصلة السيئة التى تجلب على غضب أستاذ فاضل ، لم أسمع به ولم أعرفه ، ولا أظنه يعرفنى . والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندى أكبر مما ظن فى نفسه ، وإذا كان هو قادراً على أن يضن بكرامته ، فالواجب على أنا من قبله أن أضن بكرامته . وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منزلة يوجه إليه من أجلها شيء يقدح فيها ، فأنا أيضـا أنزهه عما ظن فى كلامى من « الشتائم والتنقص والسباب » . وإذا كان كلامى الطويل العريض ، كما وصف ، ليس فيه شيء يقنع المنصفين ، وليس هو إلا فقرات مبعثرة مضطربة أسوقها مسـاقاً مهلهلا لا يعرف الدقة ولا الحدود ، وإذا كان كل ما أقوله لا أبنى منه إلا إرسال الكلام فى الهواء ، وإذا كنت عنده لست مؤرخا ، ولم أخط كتابا فى التاريخ ، وأنى أدخلت نفسى فى قوم لست منهم ، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغى كل ما أقول جملة ، فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه

وأنا لا أستطيع صادقا أن أفهم الأستاذ الفاضل شيئا مما أقول ، فقد عرفت هذا بالتجربة . وإذا كان مما يرضيه أن أقول له إنى مخطيء فى كل ما قلت قديما ، وما أقوله الآن ، وما سوف أقوله إلى أن يكف لسانى وقلمى من اللجاجة وإرسال الكلام ، فأنا أقول له : إنى أخطأت ، وسوف أخطيء ، ولن يسمع منى إلا ما أنا مقر على نفسى بأنه خطأ محض . وأزيده أنى عاجز كل العجز عن مقاومة حجته ، وعن دفع براهينه ، وعن التصدى لما يحسنه من العلم . بيد أنى أعود فأسأله أن يتغمد سوء أدبى بفضله ، وإذا كان قد استخرج من كلامى سبابا وشتائم ، فأنا أعيذه أن يكون غرضا لها ، وأعتذر إليه ، وأستغفر الله مما أزلفت إليه من إساءة ، وله أحسن الأسوة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بعض السفهاء لم يتورعوا قط عن سبهم والطعن فيهم ، بأقبح اللفظ . فأين يقع مثلى من هؤلاء ! فإنى مهما ملكت من السباب والشتائم والبذاءة وسوء الأدب ، فلن أبلغ بعض ما بلغوا من هؤلاء الصحابة ، فلا عليه منى ومن